الباب الثالث

الاسلام والحضارة

obeikandl.com

obeikandl.com

الدين والنهضة

لعل من أكثر ما يربك العقل المسلم اليوم علاقته بدينه تعريف هذه العلاقة وحدودها وتطورها ورغم ذلك فالمسلم يدرك أن الإسلام ببعده الملموس والمباشر يمكن فهمه وممارسته دون أي إشكال أو إرباك، فهو حين يصلي أو يصوم أو يحج أو يزكي يمس جوهر الدين، فلا أحد ينكر أو يؤول تلك الفرائض التي نص عليها الإسلام بشيء على غير حقيقتها ولا نجد اليوم اثنان يختلفان عليها، ولكن ماذا عن روحانية الدين؟ ماذا عن فلسفته؟ ماذا عن كلمات نسمعها كل يوم أصبحت ملتصقة به وكأنها ولدت معه، التجديد الديني، الإصلاح الديني، ثورية الإسلام إلى آخر تلك المصطلحات والجمل فإن قلنا أن في الدين تجديد، فهل نعني الكلمة بحذافيرها؟ وإن قلنا أن الإسلام يُشكّل في داخله وتعاليمة ثورة، فهل نقصد ذلك بإسقاط تعريف الثورة المتأخر أم هي حالة وصف بها الإسلام متأخراً بسبب ما نتعرض له من مفاهيم جديدة؟

يبدو واضحا أننا كمسلمين أردنا للإسلام أن يصبغ حياتنا، ويغيّرها بكل ما فيها، لكننا لم نعي أن هذا يعني عكس المراد أيضا، فإن قلنا أن في الإسلام ثورة، فذلك لا يعني فقط أن الدين يقف مع المظلوم ضد الظالم كمبدأ ديني، بل يعني أيضا أن الدين ألهم هذه المعاني وصبغها بأحداث متأخرة جداً عن الإسلام لحظة ولادته، وبالتالي تغيّر وصفنا للإسلام

معها ونحن حين نقرأ القرآن نقرأه على أنه كتاب تعاليم مباشرة، فهو يأمرنا وينهانا لكننا نحتاج لفهم الدين بطريقة مختلفة عن التلقين والتعريف، فإن كنا قبلنا توصيفه وتعريفه مصطلحيا وفقهيا كمادة أكاديمية، فلا يمكن قياس أثره وانعكاساته اجتماعياً وروحياً بنفس الأدوات والمناهج التي أعتدنا أن نرى من خلالها الدين كتعريف محدد وثابت وكل محاولة تعريف للدين تجعل منه قانوناً صلباً تتنافي مع مسلمة أن الدين صالح لكل زمان ومكان وليس هذا بسبب الدين، بل بسبب الإنسان فالإنسان هو العامل المتحول الذي لا يبقى على حال.

من هنا كان الدين قابلاً للفهم بحسب ما يستجد من وقائع وأحداث، قابلاً للتطبيق حسب معطيات الواقع وظروفه ولعل من المهم التأكيد على أن العوامل المتغيرة التي تحكم علاقة الإنسان بالدين تقف على قاعدة ثابتة من المفاهيم الأساسية فرغم كل الكلام عن التجديد والإصلاح والثورة في الإسلام إلا أنه لا يمكن لمجادل أن يقول أن هناك تغييراً أو تطويراً يمس المعنى الأساسي للتوحيد، أو المعنى الأساسي في الإيمان، أو أن هناك فرائض نص عليها الدين يمكن أن تتطور لتأخذ أشكالا أخرى.

إن معادلة الإنسان والدين تحوي أبعاداً ثابتة، تقوم عليها عوامل متغيرة،فالعالم يتحرك من حولنا، والإنسان يتطور عقله وتختلف

احتياجاته ورغباته، ومن هنا كان فهم هذه المعادلة المطلب الأساس في فهم علاقة الإنسان بالدين،لذا علينا أن نجدد فهمنا لأنفسنا وفهمنا لديننا.

والحديث عن مفهوم النهضة الشاملة في مجتمع معين يرتبط إلى حد كبير بواقع هذا المجتمع لتحديد الهوية والانتماء والوطن والجغرافيا والتاريخ وحركة التشكل والجماعات البشرية وعلاقاتها فيما بينها وعلاقاتها الإقليمية لذلك فإن من مستلزمات النهضة تحديد الانتماء القومي بشكل واضح وقد سبق الحديث عن ذلك عند محاور النهضة كما لا يمكن القيام بعملية التغيير الجذري المطلوب للنهوض بمجتمع معين دون تصفية العلاقات وتنظيمها فيما بين أفراد المجتمع وجماعاته تأسيساً على المحورالقومي وهذا يتطلب خلق أرضية مشتركة للمواطنين في المجتمع تتساوى فيها الحقوق والواجبات للجميع وقد يكون التغيير في هذا المحور صعباً للغاية لاصطدامه بعادات وتقاليد وتربية مدنية مجزأة أو عتيقة فيصبح من الضروري استبدالها بتقاليد وعادات وتربية جديدة ولكن دون المساس بالعقائد.

دور المسلمين

نحن نملك قوة تغيير العالم ولكننا لم نستطع أن نغير من أنفسنا شيئًا، ومن هنا يمكن القول أن إحياء الفكرة الإسلامية وبث الوعي في عقول المعنيين بهذه النهضة هي الخطوة الأولى في هذا التغيير.

ومن قرأ التاريخ جيداً يرى أن مجموعة من الخلفاء والقادة حاولوا تجاوز هذه القضية بالسكوت عن التفصيلات مع عدم الرضى عنها من أجل المصلحة الكبرى، فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يسكت عن الخوارج ما لم يرفعوا السلاح ويرضى ببقائهم معه ومخالطتهم وصلاتهم في المساجد وهم أهل بدعة مغلظة شهد عليهم الرسول ص بالمروق من الدين وبأنهم كلاب النار إلى غير ذلك، وفعل هذا أيضاً عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مع الخوارج والأمثلة على ذلك كثيرة، كل ذلك لخدمة الثوابت الكبرى، ويكفي أن الإسلام أقر التعايش مع غير المسلمين.

المفهوم الإسلامي للحضارة

إن تأصيل مفهوم أى مشروع في ميدان الثقافة الإسلامية يكون من خلال التفرقة بين دلالات الاستخدام الغربي المحملة بدلالات التجربة الحضارية الغربية،والاستخدام العربي الإسلامي الذي يجب أن يكون حاضراً ليمثل النموذج الإسلامي المرتبط باللغة العربية والإسلام وذلك بالرجوع إلى الأصل اللغوي للمفهوم ودلالاته سعياً إلى المعنى الحقيقي المجرد من خصوصيات الاستعمال التاريخي ولبيان مفهوم تركيب مشروع التنمية فهو يتشكل من لفظين كالآتي:

أولاً: مشروع: إن المفاهيم المستعملة في مجال الفكر الإسلامي المعاصر تستلزم الرجوع إلى المعنى اللغوي والقرآني؛لأن الاستخدامات الشائعة في الفكر المعاصر لا تسلم من التأثر بالفكر الغربي الذي له ظروفه الثقافية الخاصة به،التي أنتجت المفاهيم والمعاني والأفكار المرتبطة بتطوره الحضاري ومذاهبه الفكرية فمثلاً يلاحظ أن ما يقوله المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية عن مشروع مصطلح أساسه اقتصادي وقانوني، وقد استعمله الوجوديون للدلالة على كل ما ينزع به الفرد إلى تغيير نفسه أو تغيير ما يحيط به في اتجاه معين(١)، فالإنسان عندهم كله مشروع في طريق التكوين حيث يذهب أندريه لالاند في موسوعته الفلسفية إلى أن هذه الكلمة تستعمل بمعنى واسع جداً، خصوصاً عند الكتاب الوجوديين لتدل على كل نزوع للفرد إلى تغيير ذاته وتغيير ما يحيط به في اتجاه معين(٢) وهي أفكار بعيدة عن التعاليم الدينية، فهى مذهب يقوم على إبراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقاً على الماهية، وينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمنع نفسه بنفسه ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه(٣) وعلى هذا فإن تأصيل مفهوم مشروع في ميدان الثقافة الإسلامية يكون من خلال التفرقة بين دلالات الاستخدام الغربي المحملة بدلالات التجربة الحضارية الغربية، والاستخدام العربي الإسلامي الذي

١-المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص ١٨٣ ٢-أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ح٢ ص ١٠٥٦- تعريب: د. خليل أحمد ٣-المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص ٢١١

يجب أن يكون حاضراً ليمثل النموذج الإسلامي المرتبط باللغة العربية والإسلام وذلك بالرجوع إلى الأصل اللغوي للمفهوم ودلالاته سعياً إلى المعنى الحقيقي المجرد من خصوصيات الاستعمال التاريخي ٠(١)

وفي لسان العرب نجد مشروع من شَرَعَ يَشْرَعُ شَرْعًا، والشَّريعَةُ والشِّرعة، ما سن الله من الدين وأمر به، ومنه قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) (٢) وقوله تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)(٣) ومن خلال الدلالات السابقة يمكن تَلَمُس دلالات تساعد في بلورة المفهوم من حيث الآتي:

أ- الهدف: التنمية وثبة في سبيل التقدم الاجتماعي
ب- الحالة الفكرية والوجدانية: ترتبط التنميةبالحركة والنشاط واليقظة
ت- والصحوة التي سبقها حالة غفلة وثبات ونوم، تسببت في فوات أمور مهمة تطلبت سرعة النهوض والتنمية.
ومن حيث البُعد الزمني والاجتماعي: ترتبط بالحاجات الضرورية والحياتية، مما يتطلب الإنهاض بالتعبئة الفكرية للمجتمع لتجاوز مرحلة السُبات والتأخُّر.

١-- الحضارة الثقافة المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم- د نصر محمد عارف ص ٥٥ ٢- الجاثية: الآية ١٨ ٣-المائدة: الآية ٤٨

ث- ولما كان القرآن الكريم هو المنهج والطريق الذي أخرج الله به الناس من ظلمات الجاهلية إلى أنوار الإسلام،وكان منطلق التنمية والتقدم الروحي والمادي في العالم الإسلامي، فإن بداية عصر التنمية بدأ منذ هذا الانطلاق،وبهذا تكون الدلالات اللغوية والمنهج المؤسس للنهضة هي الأسس التي يجب أن يفهم على ضوئها مفهوم التنمية المنشودة للعالم الإسلامي اليوم؛لأن ذلك من مستلزمات تأصيل المفهوم والاستخدام الشائع لمفهوم التنمية في الفكر العربي المعاصر قد ألقى بظلاله على اللفظ العربي وأصابه بمعانٍ ودلالات محملة بالتجربة الحضارية الأوروبية، فكثير من المفكرين العرب المعاصرين يقصدون بالتنمية عصر التنمية في الفكر الأوربي، في حين أن المفهومين: العربي والغربي يختلفان جذرياً على المستوى العقدي،والفكري والزمني فقد تطور فكر التنمية في الثقافة الغربية بسبب الصراع بين العلماء التجريبيين ورجال الكنيسة على نحو أفرز ثلاثة عصور فكرية (١)هي:

أ- عصر التنمية: كان قوامه في أوروبا إحياء التراث اليوناني الروماني،والفلسفي العلمي، والأدبي، والانتظام فيه، الشيء الذي يعني الإفلات من هيمنة الكنيسة ووصايتها على العقل والوجدان، وهو ما

١- مشروع التنمية العربي د. محمد عابد الجابري، ص٥٧ و الخطاب العربي المعاصر- د. فادي إسماعيل ص ١٩

عرف باسم علم التنمية الجديد، الذي نشأ كرد فعل في ثورة على كنيسة العصور الوسطى (١) وشغلت القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وامتدت حتى القرن السابع عشر واتسمت بالروح العلمية، والاعتماد على المنهج التجريبي وانتشار العقل(٢)

ب- عصر التنوير: والخصائص الرئيسية للتنوير هي: إيمان الروح أو العقل بقدرته على التحرر من كل ما ورثه من عبودية فكرية وعلى تقرير مصيره، والشجاعة في إخضاع كل الآراء والمذاهب الموروثة لامتحان العقل وحكمه وتشكيل الدولة والمجتمع والاقتصاد،والقانون والدين والتربية بشكل جديد تبعًا لمبادئ وأسس قوية جديدة (٣)

ج- عصر الحداثة:

وهو امتداد لعصر الأنوار، وقد تطورت الأنوار في القرن العشرين لتكون فلسفة المجتمعات الغربية وثقافتها من حوالي ١٨٥٠م إلى سنة ١٩٥٠م،أي الفترة المتفجرة التي حقق فيها المجتمع البرجوازي إنجازات هائلة، تكنولوجية وفكرية، وشهد تحولاً حضارياً كاملاً في ظروف المعيشة والعلاقات الاجتماعية(٤) وتطور الفكر التحديثي

١- تكوين العقل الحديث- جون هرمان : - ص ١٩٥ و٢٤١- ترجمة د. جورج طعيمة ٢- الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية - د. توفيق الطويل ص ٢٢ ٣- نيتشه- د. عبد الرحمن بدوي: ص ١٢٨. ٤- فلسفة ما بعد الحداثة- سان هاندن - ص ١٤٢- ترجمة: مصطفى محمود محمد.

المعاصر إلى عدم ما بعد الحداثة وهي نزعة تقوم على النفي والإنكار في الفلسفة والأخلاق والسياسة، فتنكر أية حقيقة ثابتة على الإطلاق،وتذهب إلى أن القيم الأخلاقية مجرد وهم وخيال(١)، هذا عن مفهوم التنمية وتطوره في الفكر الغربي إلى عدم ما بعد الحداثة، وهو يختلف عن المفهوم العربي الإسلامي،ولاستكمال بيان مفهوم التنمية الحضارية من المنظور الإسلامي، نقوم بتحليل مفهوم الحضارة وعلاقته بالتنمية ٠

التنمية الحضارية الإسلامية:

لتحديد المقصود بالتنمية من حيث علاقتها بالفكر الفلسفي، فإنها من هذا الجانب ترتبط بالحضارة بوصفها عملية نهوض اجتماعي،وترتبط بالفكر الذي يؤسسها سواء كان فكراً وضعياً أم فكراً دينياً، وترتبط بالزمن والتاريخ الذي ينشأ من خلاله الفكر المؤسس للحضارة ويتعدد مفهوم الحضارة بتعدد العقائد والثقافات التي عملت على تشكيله، فلكل حضارة منشأ عقائدي وثقافي، يكوِّن هويتها المميزة لها، ومفهوم الحضارة في الفكر العربي المعاصر من المفاهيم التي تأثرت بالمفهوم الغربي الذي له تجربته الحضارية الخاصة، وفلسفته التي يقوم عليها،والتي شكلت هويتها وموقفها من الحضارات والشعوب

١- المعجم الفلسفي- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ١١٨

الأخرى وارتباط مفهوم الحضارة بمفهوم الثقافة في التجربة الحضارية الغربية بما يشمل من ألوان السلوك والأنظمة والعادات، لا يمكن أن يعطينا مفتاح مشكلة الثقافة في الظروف النفسية الزمنية التي تكتنفها في البلاد العربية والإسلامية وللتأصيل الإسلامي لمفهوم الحضارة فالقرآن والسنة، يكونان المرجع الأول لكل رؤية تحاول الاقتراب من حقيقة المفاهيم والقيم الإسلامية،وكل محاولة فكرية تتناول الحدث الحضاري الإسلامي بالتحليل ولا تأخذ هذا الفهم في الاعتبار، تكون قد تجاهلت (١)المكون الحقيقي للبنية الحضارية للإسلام، كما تبدو في التركيب العقائدي الذي ميّز الحضارة الإسلامية في مقابل كل الأديان (٢) والمذاهب المختلفة على مر العصور والألفاظ الواردة فى القرآن الكريم بمعنى الحضارة ومرادفاتها تؤسس لمفهوم الحضارة من منظور إسلامي، أما مجمل القرآن فهو نفسه حضارة، عقيدته حضارة، وعباداته حضارة، وشريعته حضارة،ومكارم أخلاقه حضارة، فأنت مع القرآن وفي الإسلام في عالم حضارة، وليس من حق أي مسلم أن يتخلف عن ركب الحضارة(٣) وقد ربط ابن خلدون بين القرآن الكريم وأسباب قيام الحضارات وسقوطها(٤) ويذهب إلى أن الحضارة هي :تفنن في الترف

١- مشكلة الثقافة- مالك بن نبي ص ٣٩- ترجمة د. عبد الصبور شاهين. ٢-أسس مفهوم الحضارة في الإسلام- د. سليمان الخطيب: ص ٣٤٤ ٣- الإسلام حضارة- د. حسين مؤنس ص ١٠. ٤- مقدمة ابن خلدون مح٢ ص ٥٢٦ وما بعدها

وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه(١)وهي تزول عند طور الإسراف والتبذير،واتباع الشهوات والملذات ويمكن القول إن مفهوم الحضارة في الإسلام يرتبط بالوعي الدائم برسالة القرآن إلى الإنسان، بوصفه خليفة عن الله في إعمار الكون، وتأثير الإيمان الدافع للعمل الصالح في كافة مجالات الحياة، لتحقيق مرحلة الشهود الحضاري على باقي الأمم دون استعلاء أو طغيان أو ظلم وعلى هذا فإن فلسفة مفهوم الحضارة الإسلامية تقوم على جانب الإيمان الروحي، والجانب العملي التطبيقي، وقد أغفلت كثير من المجتمعات الإسلامية الحديثة الجانبين معاً فخسرت، أما الحضارة الغربية فقد حفلت بالجانب الثاني على حساب الأول فصارت حضارة عرجاء، ولكن المسلمين يمتلكون الجوهر والروح القادرة على التحضر، فالحضارة ليست مجرد العَرَض الظاهر من قوتها وبنيانها ويذهب د٠ محمد عمارة إلى أن البحث في قواميس المفاهيم الغربية عن تعريف للحضارة يُعَدُ خيانة للقضية، فالحضارة في المفهوم الإسلامي هي: العمران بجناحيه: التمدن الذي يتهذب به الواقع المادي، والثقافة التي تتهذب بها النفس الإنسانية(٢)

مشروع نهضة اسلامية

طرح رئيس وزراء ماليزيا داتو سري عبد الله أحمد بدوي مشروعاً

١- المصدر السابق مج٢ ص ٥٣٨. ٢- الإسلام والتعددية- د٠محمد عمارة ص ١٩١

لنهضة الأمة على هدي تعاليم الإسلام؛ من أجل استعادة دور الحضارة الإسلامية، ويسمى هذا المشروع بالإسلام الحضاري، وهو اصطلاح يقصد به المنهج الحضاري الشامل لتجديد الإسلام في ماليزيا، ويستخدم كمحرك للأمة نحو التقدم والتطور والريادة الإنسانية.

ويهدف لتقديم الإسلام بمنظوره الحضاري باعتباره دينًا يشمل كافة جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويلبي متطلبات الروح والبدن والعقل، ويعالج قضايا الفرد والجماعة والدولة كما يعرض هذا المشروع منهجاً شاملاً ومتكاملاً للعمل بالإسلام على نحو يميزه عن مناهج الدعوة والعمل الإسلامي كالصوفية وحركات الاسلام السياسى.

المبادئ العشر

يعرف رئيس وزراء ماليزيا مشروع الإسلام الحضاري فيصفه بأنه: جهد من أجل عودة الأمة إلى منابعها الأصيلة، وإعطاء الأولوية للقيم والمعاني الإسلامية الفاضلة لكي توجه الحياة وترشدها ويحدد مبادئه في الآتي:

١- الإيمان بالله وتحقيق التقوى: وذلك لأن الإيمان بالخالق هو العامل الأساسي في الاستخلاف وعمارة الحياة، بينما تقوى الله تفضي إلى جليل الأعمال وأحسن الأخلاق وأعدل العلاقات بين الناس وبالتالي لا يقتصر دور هذا المبدأ الإيماني على تزكية الروح وتنقية المعتقد وتصحيح العبادة، وإنما يتعداه إلى العناية بالسلوك وأعمال الجوارح.

٢- الحكومة العادلة والأمينة: التي جاءت عن طريق الشورى والاختيار الحر دون قهر أو إكراه، وتعمل على بسط العدل ونصرة المظلومين وردع الظالمين، وترد الحقوق إلى أهلها، وترعى مصالح الأفراد على اختلاف أعراقهم ومعتقداتهم، كما تقوم على قضاء حوائجهم بأمانة وتجرد وإخلاص.

٣- حرية واستقلال الشعب: فالحرية هي القيمة الكبرى في الحياة الإنسانية، وهي الحافز للعمل والإبداع، وبها يكون الإنسان مستقلا وحرًّا في قراراته؛ وقد خلع عن رقبته طوق العبودية والتبعية.

٤- التمكن من العلوم والمعارف: فالعلم هو المرتكز الأساسي لنهضة الأمة، والوسيلة التي يستعان بها على عمارة الأرض، وتسخير ما فيها، وترقية الحياة، والانتفاع بالطيبات من الرزق.

٥- التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة: التي تعني التنمية بكامل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية والمادية والثقافية والحضارية، وتجعل صلاح الإنسان غاية وهدفاً لها.

٦- تحسين نوعية الحياة: وتعني سلامة الحياة واستقرارها وجودتها وتوفير متطلباتها الضرورية.

٧- حفظ حقوق الأقليات والمرأة: رعاية حقوق الأقليات العرقية والدينية، وكذلك احترام المرأة وتقدير مكانتها وتعزيز دورها الإيجابي في المجتمع.

٨ - الأخلاق الحميدة والقيم الثقافية الفاضلة: العناية بالأخلاق الفاضلة والقيم المعنوية السامية في كل المجالات والجوانب، وأن تكون هي الأساس لتربية الأجيال.

٩- حفظ وحماية البيئة: العمل على حماية البيئة والحفاظ عليها ومنع ما يهددها من عوامل التلوث والآفات والإهلاك.

١٠- تقوية القدرات الدفاعية للأمة: وذلك للحفاظ على سلامة ووحدة أراضي الدولة وحماية المصالح العليا لشعوبها والمحافظة على استقلالها وسيادتها.

لماذا الإسلام الحضاري؟

ويحدد عبد الله بدوي الأسباب التي دفعته لطرحه هذا فيقول: إن الإسلام الحضاري جاء لنهضة وتقدم المسلمين، ومن أجل المساعدة على دمجهم في الاقتصاد الحديث كما يصلح أن يكون الترياق للتطرف والغلو في الدين، وذلك لأنه يشجع على التسامح والتفاهم والاعتدال والسلام وفي بلد متعدد الثقافات والأعراق فإن الإسلام الحضاري يهدف لمصلحة الجميع على اختلاف عقائدهم وأديانهم وأعراقهم، ومن المؤكد أننا كمسلمين يجب أن نعامل غير المسلمين بالحسنى والإنصاف، مشيرًا إلى أن هذا المشروع سوف يؤدي إلى الامتياز والتفوق، وسيكون مصدرًا للفخر والاعتزاز ليس للمسلمين وحدهم، وإنما لغير المسلمين أيضاً.

ويحدد سمات المجتمع الذي يستهدف مشروع الإسلام الحضاري إيجاده في ثماني سمات هي:

١- أن يتحلى بالأفكار الوسطية والمعتدلة التي تساعد على تقوية بناء الأمة والدولة.

٢- قوامه الأخلاق الفاضلة حتى يكون قدوة للأمة كلها والناس جميعًا.

٣- يتصف بالمسئولية والجدية في تأدية دوره وواجباته.

٤ - تكون فيه العلاقات بين أفراده مترابطة وتقوم على الثقة والأخلاق الفاضلة.

٥- يتصف بالنظام ويحترم سيادة وحكم القانون.

٦- متحد الكلمة ومتعاون ومتكافل فيما بينه.

٧ - تطبق الدولة تعاليم الإسلام الحقيقي وتحقق مقاصد الشريعة الإسلامية.

٨ - تكون الدولة رائدة وقائدة وليست تابعة وذليلة.

مظاهر الإسلام الحضاري وعناصره

وفي رؤيتة فإن أهم مظاهر الإسلام الحضاري تتمثل في الآتي:

العالمية: لأنه يستمد روحه ومقاصده من الإسلام الذي هو رسالة للناس كافة ورحمة للعالمين.

الربانية: حيث مصدره الأساسي وحي الخالق العظيم، ويبتغي ربط الناس

بالله رب العالمين؛ فهي ربانية الغاية والهدف، كما هي ربانية المصدر والمنطلق.

الأخلاق: فالأخلاق الفاضلة التي تفضي إلى سلوك رشيد وعلاقات طيبة بين البشر هي أبرز ما يدعو إليه الإسلام الحضاري.

التسامح: وذلك من أجل مجتمع يسوده الاستقرار والسلام والتعاون والتكافل بكافة أعراقهم ومعتقداتهم، وتفهم الآخرين واحترام خياراتهم العقدية والثقافية.

ويرى أن للإسلام الحضاري سمات وخصائص تميزه عن غيره من المناهج أبرزها ما يلي:

التكامل: تتكامل فيه معارف الوحي مع علوم العصر، وتتكامل فيه الجهود من حيث تناوله لشئون الفرد والمجتمع والدولة.

الوسطية: يقوم المشروع على الاعتدال في منهجه، ويعتمد على التدرج واليسر في طريقة تطبيقه، ومن خلال ذلك يكون التوازن بين مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة، والتوازن بين متطلبات الروح والمادة، وبين المثال والواقع.

التنوع: من حيث مادته التي تغطي مجالات عديدة، وتهتم بمستويات مختلفة، كما تستوعب المتغيرات، وتأخذ من التجارب والحكم البشرية النافعة والصالحة.

الإنسانية: بمعنى أنه رسالة موجهة إلى الإنسان، وتهدف إلى رعاية

مصالحه الضرورية والحاجية والتحسينية، وكفالة حقوقه الأساسية، وحفظ دينه وعقله ونسله وعرضه وماله.

عناصر الإسلام الحضاري

يقوم مشروع الإسلام الحضاري - كما يطرحه عبد الله بدوي- على عشرة عناصر أساسية ينبغي على المسلمين أفرادًا وجماعات العمل على تحقيقها، وهي:

١- التعليم الشامل: الذي يجمع بين معارف الوحي وعلوم العصر، ويغطي فروض الكفاية والأعيان ويؤدي واجبات الوقت دون تقصير.

٢ - الإدارة الجيدة: التي تحسن إدارة الموارد البشرية والمادية وتوظيف الاستخدام الأمثل لها.

٣ - التجديد في الحياة: بمعنى ترقية أساليبها من ناحية التمدن والحضارة.

٤ - زيادة جودة الحياة: وتوفير متطلبات الحياة الكريمة على أجود هيئة وأكمل حالة.

٥ - قوة الشخصية: من حيث الإخلاص والأمانة؛ فالإخلاص أساس الأقوال والأعمال، بينما الأمانة عماد المجتمع والدولة، وبغيرهما لا يمكن إيجاد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح. وهي أخلاق تقوم عليها الحضارات، وبغيابها تزول وتغرب.

٦ ـ الحيوية والنشاط: من حيث استجابته للمتغيرات وإدراكه لمتطلبات الحياة المتجددة ومسائلها المتشعبة.

٧ ـ الشمول والسعة: يقوم المشروع على الفهم الشمولي للإسلام؛ فهو لا يركز على جانب دون الآخر، ولا يأخذ تعاليم الإسلام مجزأة. ويعتبر الإسلام منهج حياة كاملا؛ فهو عقيدة وعبادة، وأخلاق ومعاملة، وتشريع وقانون، وتربية وتعليم، ودولة ونظام، يتناول مظاهر الحياة كلها، ويحدد منهاجًا للسلوك البشري في كافة أطواره.

٨ـ الواقعية: لا يجنح إلى المثالية المجردة؛ فهو منهج عملي واقعي من حيث مراعاته واقع الحياة وطبيعة الإنسان وتفاوت الناس في استعداداتهم ومداركهم وحاجاتهم ومطالبهم.

٩ ـ الاستقلال وعدم التبعية للأجنبي: سواء كانت تبعية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية وسياسية.

١٠ـ تعزيز مؤسسة الأسرة: فالأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع وتترابط علاقاته وتتوحد مشاعره.

التحديات التي تواجه الإسلام الحضاري

وبعد أن يعرض رئيس الوزراء الماليزي لجوانب رؤيته يحدد جملة من التحديات التي تواجه مشروع الإسلام الحضاري، وهي في جملتها تحديات داخلية، أبرزها:

١ـ الجمود والتقليد: يقف تيار الجمود والتقليد عقبة أمام محاولات

التجديد والاجتهاد بدعوى الإبقاء على القديم وإن لم يكن صالحًا لعصرنا؛ وهو تيار يعبر عن نفسه في الجمود المذهبي والتقليد الفكري.

٢- التطرف: وهو تيار أفرزته المشكلات والاختلال العميق في المجتمعات المسلمة، ويعبر عن نفسه في حركات التطرف الفكري والسلوكي.

٣ - الانعزال والترهب: وهو تيار ينتشر وسط الأمة الإسلامية، وتغذيه المواقف السلبية الداعية إلى الزهد والرهبنة والابتعاد عن الدنيا والانصراف عنها كلية.

٤ - العلمانية: وهي اللادينية التي ترفض ارتباط الدين بالحياة، وتوجيهه لجوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتحارب تدخل تعاليم الدين في شئون الدولة والحكم.

٥- أحادية المعرفة: المعرفة الجزئية سواء بالشرع أو الواقع تؤدي إلى نظرة جزئية للأمور وتحجب عن صاحبها معرفة الأبعاد الحقيقية للقضايا، وبالتالي يكون حكمه قاصرًا وعاجزًا عن المعالجة الوافية، ولا بد من معرفة بالشرع والواقع معًا.

٦- الضعف في إدارة الوقت: إن إهدار الوقت وعدم إدراك قيمته من أوضح أسباب الفشل والتردي في الحياة العامة في البلاد الإسلامية.

الموقف من الحضارات الأخرى:

هناك سؤال يفرض نفسه: كيف يمكن النظر للخبرات الحضارية خارج إطار الإسلام، هل نتجاهلها كما يفعل الغرب مع الحضارة الإسلامية؟ هل نعترف بها ونفيد منها؟

ابتداءً نجد القرآن الكريم يفرد لحضارات الأمم السابقة مساحة للحديث عنها، في جوانبها الإيجابية والسلبية فالذي يقرأ سورة هود يجدها تتحدث عن ست حضارات، مضى عليها آلاف السنين، وكل واحدة أصابها مرض قاتل، فمن تلاعب بالموازين، إلى عبث بالأمن وإخافة للناس، إلى شذوذ جنسي،. .. إلخ وكانت الثمرة أن كل أمة من هذه الأمم، أصابتها عقوبة موجعة، وضربة ربانية قاتلة.

ان الكتاب الكريم سرد أخبار هذه الحضارات وغيرها بتفصيل ليوجه رسالة للأمة الإسلامية، مفادها: من استقام على أمر الله فله السعادة في الدنيا والآخرة، ومن تنكب عن شرائع الله وهجرها، فمن السنن أن ينالـه العقاب في الدنيا - مع كونها ليست دار حساب وعقاب- وله مثل ذلك في الآخرة، لا فرق بين البشر، ومن هنا جاء تخوف النبى ص، أن تسقط أمته، وهي المنوط بها قيادة العالم والشهادة عليه فيما سقط فيه غيرها، فيحل عليها ما حل فيهم أما تصور البعض أنهم شعب الله المختار فتلك من الأماني فالله لا يحابي أحداً، وعدالته تأبى ذلك.

وقضية أخرى يسجلها القرآن النازل في مكة، ويفرد لها سورة باسم

الروم وفي ستين آية، تتحدث السورة عن صراع الفرس والروم، فيقول تعالى: (ألم، غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فالمسلمون المحاصرون بمكة، والواقعون تحت الإرهاق والتعذيب، ينزل عليهم قرآن يتلى إلى يوم القيامة، يتعلق باحتكاك مسلح بين أمتين على أطراف الجزيرة، فالروم صاحبة كتاب، والفرس مُشْركة، تكون الغلبة والانتصار من نصيب الفرس،فيحزن لذلك المسلمون وتفرح قريش وتباهي بهذا النصر، ثم لتتخذ منه عبرة فتقول: كما انتصر الفرس وهم مثلنا، على الروم وهم مثلكم، فكذلك سننتصر عليكم، فيأتي وعد من الله بأن النصر سيكون من نصيب الروم، وذلك في بضع سنين ويلاحظ أن القرآن غير سالك في ذكر الأسماء والسنين، وحتى عدد الجنود والمقاتلين مثل التوراة، ومع ذلك خرج على سنته، وحدد لفوز الروم بضع سنوات، وعقب على ذلك تعقيباً، وهو الأهم، إذ قال: (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وهذا درس للأمة إلى قيام الساعة، كي لا تقف موقفاً سلبياً لا مبالاة فيه مما يجري في الكون، والشهادة تقتضي ذلك .

الموقف من حضارة الغرب:

لا يخفى أن كل متكلم عن الحضارة، إذا أطلق لفظ الحضارة، فهو يقصد الحضارة الغربية وابتداءً، فإن الغرب يحتقر كافة الحضارات -باستثناء اليونانية والرومانية- ولا يقيم لها وزناً، ويدرب أفراده على التعالي والتكبر، بل هو يتطرف فيصم كل معتز بحضارته بأنه يعادي الغرب وحضارته وتحوي الحضارة أفكاراً وتشريعات، كما تحمل قيمًا ومنتجات مادية،والمقتبس بالدرجة الأولى، هو المنتجات المادية، فالعالم اليوم كله يستعمل المنتجات الغربية فهل تحضَّر؟

يقول مالك بن نبي لكل حضارة منتجاتها التي تتولد عنها، ولكن لا يمكن صنع حضارة بمجرد تبني منتجات حضارة ما، فشراء ما تنتجه الحضارة الغربية، من قبل كافة دول العالم، لم يجعلها تكسب حضارة أو قيماً، إذ الحضارة ليست تكديس منتجات، بل هي فكر ومثل وقيم، لا بد من كسبها أو إنتاجها إذن فكل من يشتري منتجات حضارة، فهو مستهلك حضارة، وليس منتج لها.

ويحلو للبعض أن يقارن بيننا وبين اليابان، في الموقف من الحضارة، فيقول: كانت اليابان تلميذًا نجيبًا للغرب وحضارته،والتلميذ قد يتفوق على أستاذه ويتجاوزه،أما نحن فكنا مجرد زبائن،وما زلنا كذلك، فالزبون يأخذ البضاعة وينصرف، ويكرر ذلك كلما احتاج.

والحاجة ملحة إلى إحياء التراث، والأخذ من الحضارة الغربية، ويشترط عدم الاكتفاء بعنصر واحد حيث من الوهم أن تعتقد جماعة أنها تستطيع أن تندمج في الحضارة دون أن تحيي تراثها، كما أنه من الوهم أن تعتقد جماعة أيضاً أن تراثها بمفرده يمكن أن يحفظ لها استقلالها وحريتها.

إن اكتساب التراث الحضاري الجديد، لا يشكل شرطًا أساسياً لدخول التاريخ المعاصر فحسب، ولكنه شرط أساسي أيضاً، لإعادة الفاعلية والقيمة الجادة للتراث القديم ومصير الأمم مرهون بمقدرتها على أن تجعل من تراثها رأس مال قابلاً للتوظيف في عمليات التجديد والتحضر الكبرى.

وهناك مشكلة مفادها الاعتقاد بأن مجتمعنا لم يستطع أن يستوعب الحضارة الحديثة لأن ثقافته وتراثه تقليديان،وهذا ينفي عن عملية الحضارة والتحضر كل طابعها الاجتماعي والتاريخي فهل لو طبقنا في بلادنا القوانين الليبرالية مثلاً،أصبح لدينا بالضرورة صناعة حديثة؟

نحن نقول بالعكس، لو طبقنا نفس الحلول، التي طبقتها المجتمعات الغربية، دون النظر إلى تغير الظروف التاريخية، وأهمها بالضبط تحول الغرب إلى مركز للحضارة يتحكم بآلياتها ووسائلها، ويصارع ليبقى المحتكر الأول لها، لوصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم أي زيادة التأخر والتبعية.

لا يعني هذا رفض التحديث وإنما يعني ربطه بمعيار واضح، اجتماعي وقيمي أو أخلاقي باختصار، لا لتدمير الهوية، لا لفصل العرب عن العالم، ولا لأي سياسة أو خطة تطمس أحد قطبي التناقض، لصالح القطب الآخر.

وهناك في مجتمعنا من هو زاهد في التراث، ويرى فيه عقبة كبرى، ويسخر من الهوية، فالعالم صار قرية واحدة، ولا معنى فى رأيه للتشبث بالهوية الخاصة، لذا فالحل في نظره سهل ميسور، نتجاهل التراث، ونهمل الهوية، ونندمج في حضارة اليوم.

obeikandl.com